السنة الحادية والخمسون

فيها عزل أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة عن السند وولّاه إفريقيّة، وولّى مكانه على السند هشام بن عمرو التغلبي[١].

وفيها ابتدأ أبو جعفر بعمارة الرصافة بالجانب الشرقيّ، وعمل لها سوراً، وخندقاً، وأجرى إليها الماء كما فعلَ ببغداد.

وسببه أن أبا جعفر استشارَ بعضَ أقاربه فقال: ما ترى ما نحن فيه من شغبِ الجند ووثوبهم علينا كلَّ وقت؟! فقال له: الرأيُ عندي أنْ تعبُر بولدك إلى الجانب الشرقيّ، وابنِ له هناك قصراً وبلداً، وحوِّل معه من الجيوش جيشاً، فيصير ذاك بلداً وهذا آخر، فإن فسدَ عليك أحد البلدين ضَربهم بالآخر، وإن فسدت عليك المضريَّةُ ضربها باليمانية، أو اليمانية ضربها بالمضريَّة، الخراسانية ضربها بأعدائها[٢].

ففعل أبو جعفر ذلك، فاستقامت له الأمور.

ووُزِنَ ما بين الرصافة وبغداد فكانت بغداد أعلى من الرصافة بذراعين وثلاثين ذراع[٣]، كذا ذكره الخطيب. وهو بعيدٌ في رأي العين اليوم.

وفيها قدم المهديُّ على أبي جعفر ببغداد، فالتقاه أبوه، وأحسن إلى أصحابه، وكساهم، وحملهم، وكذا فعل المهدي[٤].

وفيها جدَّد أبو جعفر البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدي، ثمَّ لعيسى بن موسى من بعده، فكان من يبايعه يقبِّلُ يدَه ويد المهدي، ثم يمسحُ على يد عيسى بن موسى ولا يقبِّلُها[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٣٧.

(٢) كذا في (خ)، ونص الكلام كما في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩ : فإن فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب، وإن فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة والخراسانية، وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها.

(٣) كذا، وفي تاريخ بغداد ١/ ٣٩٤ : ذراعين ونحو من ثلثي ذراع. وانظر أيضاً المنتظم ٨/ ١٤٨.

(٤) يريد أن المهدي فعل مثل ذلك بمن وفد عليه من عامة أهل بيته. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٦ ـ ٣٧، والمنتظم ٨/ ١٤٦.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩.

وحج بالناس محمد بن إبراهيم الإمام، وهو كان العامل على مكَّة والطائف، وعلى المدينة الحسنُ بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابيّ، وعلى قضائها سَوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم[1].

وفيها توفي

أشعث الحُدَّاني

من الطبقة الرابعة من عباد البصرة، وكان من الخائفين.

قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حزم قال: قال لنا أشعث الحداني: انطلقوا بنا إلى أبي محمد حبيب العجمي نسلِّم عليه، وذلك عند ارتفاع النهار، فانطلقنا معه، فسلَّمنا عليه وجلسنا، فأخذ حبيب في البكاء وبكى أشعث، فما زالا كذلك حتى حضرت صلاة الظهر، فصلَّينا، ثم أخذا في البكاء إلى العصر، فصلَّينا، وما زالا يبكيان إلى المغرب، ثم قام وخرج، ثمَّ التفتَ إلينا وقد ركب حماره وقال: إنَّ أناساً ينهون عن هذا فأطيعهم؟ قلنا: إذاً أنت أعلم، فقال: والله لا أطيعُهم أبداً.

أسندَ عن الحسن وابن سيرين، وأقرانهما[2].

قلت: وفي الطبقة الرابعة من أهل البصرة رجلٌ آخرُ يقال له الحُدَّاني أيضاً، إلَّا أنَّ اسمَه عبد الله بن غالب كان من الزهَّاد الخائفين.

قال أبو نعيم بإسناده إلى المغيرة بن حبيب قال: قال عبد الله بن غالب الحُدَّاني لما برز للعدو: على ما آسى من الدنيا؟ فوالله ما فيها للبيب جذلٌ، والله لولا محبَّتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء في ظلم الليل؛ رجاءَ ثوابك وحلول رضوانك لقد كنتُ متمنِّياً لفراقِ الدنيا وأهلها. ثمَّ كسرَ جفن سيفه، وتقدَّم فقاتل حتَّى قُتل، فحُمِل في المعركة وبه رمق، فماتَ دون العسكر، فلمَّا دُفِنَ أصابوا من قبرِه رائحة المسك.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٤٠.

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ٨/ ١٥٠، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣٥، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٤.

قال: فرآه رجلٌ من إخوانه في منامه، فقال: يا أبا فراس إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجُّد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحةُ الطيِّبةُ التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحةُ التلاوة والظَّمأ، قال: فقلت: أوصني، قال: اكسب لنفسك خيراً، لا تخرج عنك الليالي والأيَّام عطلاً[١].

قلت: تقدَّمتْ وفاةُ عبد الله بن غالب الحُدَّاني على وفاة أشعث الحُدَّاني؛ لأنَّ جدِّي ذكر في «صفوة الصفوة» عن مالك بن دينار أنَّه قال: نزلتُ في قبر عبد الله بن غالب، وأخذتُ من ترابِه، فإذا هو مسك، قال: وفُتِنَ الناسُ به فبُعِثَ إلى قبره فسوِّي[٢].

ومالك بن دينار توفِّي في سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومئة.

جعفر بن أبي جعفر المنصور

كان يتولى إمارة الموصل والجزيرة وتوفي في حياة أبيه[٣]، وكان للمنصور جعفران، أكبر وأصغر، وهذا هو الأكبر، وهو شقيقُ محمد المهدي، وأمُّهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميري، وكنيةُ جعفر أبو الفضل[٤].

قيل: إنه مات في سنة خمسين ومئة، وصلَّى عليه المنصور أبوه ودفنه بمقابر قريش[٥].

حسان بن أبي سنان[٦]

من الطبقة الرابعة من أهل البصرة، وكان من الخائفين المتعبِّدين الورعين. قال ابنُ أبي الدنيا بإسناده: عن محمد بن عبد الله الزرّاد قال: خرجَ حسان إلى العيد، فلمَّا

(١) صفة الصفوة ٣/ ٣٣٤. وانظر حلية الأولياء ٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، وذكر الخبر فيه مختصراً من غير طريق المغيرة ابن حبيب.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣٣٥. ووفاة عبد الله بن غالب في سنة ثلاث وثمانين، كما في تهذيب الكمال ١٥/ ٤٢١.

(٣) المنتظم ٨/ ١٥١.

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ٣١٢.

(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٣٢، وانظر ما سلف ص٢٠٦ من هذا الجزء.

(٦) كذا أورده أيضاً في هذه السنة ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ١٥٢، ولم أقف على من ذكر تاريخ وفاته، لكن أورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٣/ ٣٩٥ في الطبقة الثالثة عشرة (١٢١ ـ ١٣٠ هـ)، فالله أعلم.

رَجع قالت له امرأتُه: كم من امرأة حسناء نظرت إليها اليوم؟ فلم يجبها، فألحَّت عليه، قال: ويحك! والله ما نظرت إلَّا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

وروى ابن أبي الدنيا أنَّ غلاماً لحسان بن أبي سنان كتبَ إليه من الأهواز: إنَّ قصب السكر أصابته آفةٌ، فاشتر السكَّر فيما قبلك، فاشتراه من رجل، فلم يأت إلَّا القليل فإذا مِمَّا ربح ثلاثون ألفاً، قال: فأتى صاحبَ السكَّر فقال له: يا هذا، إنَّ غلامي كان كتب إليَّ ولم أعلمك بكذا وكذا، فأقلني، فقال الرجل: قد علمتُ الآن وطيبتُه، فقال: لم آت الأمر من وجهه[1]، أقلني، فما زال به حتى أقاله، وردَّ عليه ماله.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يحيى الزرَّاد قال: كان حسان يتمثل كثيراً: [من البسيط]

لا صحَّةُ المرء في الدنيا تؤخِّرُه ولا يقدم يوماً موته الوجَعُ

قال: وكان يدخلُ مع امرأته في الفراش، ثمَّ يخادعها ويخرج فيصلِّي إلى الصباح، قال: وكان يبكي حتى يبلَّ ما بين يديه، ولا يُسمَع له صوت.

قال ابن أبي الدنيا أيضاً: ومرَّ حسان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبلَ على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك؟! لأعاقبنَّك بصوم سنة، فصامها.

قال: وكان يقول: لولا المساكين لما اتّجرتُ، وكان يأخذ الربحَ فيخرجُ منه قوتَ عياله، ويتصدَّق بالباقي.

ذكر وفاته:

حدثنا عبد الوهاب بن علي الصوفي بإسناده عن يحيى بن بسطام التميميّ جارِ حسان قال: كان حسان يصوم الدهرَ، ويفطر على قرص، ويتسحَّر بآخر، فنحل وسقم جسمه، حتى صار كهيئة الخيال، فلمّا مات وأدخل مغتسله لغسله، كشف الثوب عنه، فإذا هو كهيئة الخيط الأسود، وأصحابه يبكون حوله فسمعوا قائلاً يقول من ناحية البيت: [من الوافر]

تجوَّعَ للإله لكي يراهُ نحيلَ الجسم من طولِ الصيامِ

(١) في (خ): لم أت الأمر إلاَّ من وجهه. والمثبت من الحلية ٣/ ١١٨، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣٧.

وقـام لـربِّـه فـي الـلـيـل حـتـى أضـرَّ بـجـسـمِـه طـولُ الـقـيـامِ
سـيـنـعـمُ فـي الـجـنـان بـحـورِ عـيـنٍ نـواعـم قـاصـراتٍ فـي الـخـيـامِ

فكانوا يرون أنَّ بعض الجن بكاه، قال: فوالله ما رؤي في البيت إلَّا باكياً.

أسندَ حسَّان عن أنس والحسن وابن سيرين وثابت البُناني وغيرهم، وإنَّما شغلته العبادة عن الرواية.

عبد الله بن عون بن أَرْطبان

ذكره ابنُ سعد في الطبقة الرابعة من أهل البصرة وقال: كنيتُه أبو عون، مولى عبد الله ابن ذَرَّة[١] بن سرَّاق[٢] المزني، وكانَ أكبرَ من سلمان التيميّ، وكان عثمانياً، ثقةً، كثيرَ الحديث، ورعاً.

وقال حماد بن زيد: ولد ابنُ عون قبلَ الطاعون الجارف بثلاث سنين.

وكان لا يسلِّمُ على القدريَّة إذا مرَّ بهم.

قال: وكان إذا حدث بالحديث تخشَّعَ عنده حتى يرحمه من حضره مخافة أن يزيد فيه أو ينقص منه.

ويقول: وددتُ أنِّي خرجتُ منه كَفافاً، يعني العلم.

قال: وكان له إخوانٌ يأتونَه فيأذن لهم خاصة، ولا يأذن للجماعة.

قال: وكانوا إذا جاؤوه سلَّموا عليه، فيردُّ، ويجلسون كأنَّ على وجوههم[٣] الطير من الخشوع والخضوع، وكان لا يدعُ أحداً يمشي معه، واتَّبعه يوماً محمد بن سيرين[٤] فقال له: ألكَ حاجة؟ قال: لا، قال: فانصرف.

قال: وكان لا يمازح أحداً، ولا يماري أحداً، ولا ينشد شِعراً.

وإذا صلَّى الغداة مكثَ مستقبلَ القبلة يذكرُ الله تعالى، فإذا طلعتِ الشمسُ صلَّى، ثم

---

(١) في (خ): درة. غير معجمة. وانظر طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٧.

(٢) في (خ): سراقة. والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٩ .

(٣) كذا في (خ). وفي طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢ : رؤوسهم.

(٤) كذا في (خ). وهو خطأ، والذي في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢ : واتبع ابن عون محمدَ بن سيرين...

أقبلَ على أصحابه.

قال ابن سعد: وحدثنا بكَّار بن محمد بهذا كلِّه.

قال بكَّار: وما رأيتُ ابن عون شاتماً أحداً قط، لا عبداً[١]، ولا أمةً، ولا شاةً، ولا دجاجةً، ولا رأيتُ أحداً أملكَ للسانه منه.

قال: وكان بلال بن أبي بردة قد ضربه بالسِّياط؛ لأنه تزوَّج امرأة عربية، قال بكار: فما سمعتُه يذكرُ بلالاً بشيءٍ قطّ، ولقد بلغني أنَّ أقواماً قالوا: يا أبا عون، فعلَ بلالٌ كذا وكذا، فقال: إنَّ الرجل قد يكون مظلوماً، فلا يزالُ يقول حتى يصيرَ ظالماً.

وقال بكَّار: لقد صحبتُه مدَّةً فما سمعتُه حالفاً على يمينٍ برَّةٍ ولا فاجرة حتَّى فرق الموت بيننا.

قال: وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وما رأيتُ بيده ديناراً ولا درهماً وما رأيته وزنَ شيئاً قط، وكان إذا توضَّأ لا يعينُه على وضوئه أحد، ويمسح وجهه بمنديلٍ أو خرقة.

قال: وكان يغتسلُ للجمعة والعيدين ويتطيب، ويَرى ذلك سُنَّةً، ويلبس أنظفَ ثيابه، وما رأيتُه دخلَ حمَّاماً، ولا أكل طعاماً فيه ثوم قط.

وكان إذا وصل إنساناً وصلَهُ سرًّا، وما كان يحب أن يطَّلعَ على عمله أحدٌ.

قال: وكان عثمان البتي يقول في شهادة الرجل لابنه[٢]: لا يجوزُ إلَّا أن يكون مثل ابن عون.

وكان ابن عون إذا اجتهدَ في الدعاء يقول: يا أحد يا أحد.

قال بكار بن محمد: ورأيت بعض أسنان ابن عون مشدودةً بالذهب.

قال: ومات في رجب سنة إحدى وخمسين ومئة. وهذا الذي ذكرناه روايات ابن سعد[٣].

وروى أبو نعيم عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما سادَ ابنُ عون الناسَ أن كانَ

---

(١) في (خ): ولا عبداً. والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٢.

(٢) في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦٥ وتهذيب الكمال ١٥/ ٤٠٠: لأبيه.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦١ ـ ٢٦٨.

أتركَهم للدُّنيا، وإنَّما سادَهم بحفظ لسانه.

وروى أبو نعيم أيضاً عن يونس بن عبيد أنه قال: إنِّي لأعرفُ رجلاً منذ عشرين سنة يتمنَّى أن يَسْلَمَ له يومٌ من أيام ابن عون فلا يقدر عليه، وليس ذلك أن يسكت يوماً لا يتكلَّم، ولكن يتكلَّم فيسلم كما يسلم ابنُ عون.

وقال ابن المبارك: إنما ارتفعَ ابنُ عون بالاستقامة.

ورَوى أبو نعيم عن خارجة بن مصعب قال: صحبتُ عبد الله بن عون أربعةً وعشرين سنةً، فما أعلمُ أنَّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً قط.

قال: وكان لا يغضبُ فإذا أغضبَه أحدٌ قال: باركَ الله فيك[١].

وروى ابن بطة أنَّ ابن عون كان له حوانيتُ يكريها لأهلِ الذمَّة ولا يكريها للمسلمين، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ لمجيء رأس الشهر روعة، وأنا أكرهُ أن أروِّعَ مسلماً[٢].

وقال عثمان البتي: ما رأت عيناي مثلَ ابن عون، قيل: ولا الحسن وابن سيرين، قال: ولا الحسن ولا ابن سيرين.

وروى أبو نعيم أن أمَّ ابن عون نادته فأجابها فارتفع صوته على صوتها فأعتق رقبتين[٣].

قال: وكان له جمل يغزو عليه ويستقي عليه الماء، وكان يحبُّه، فضربه غلام لابن عون على وجهه فسالت عين الجمل على خدِّه، فجاء به الغلام وقد خاف، فقال له ابن عون: فهلَّا كان على غير الوجه، اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله.

وكان ابن المبارك يقدم البصرة فيقال: ما الذي أقدمك؟ فيقول آخذ من أخلاق ابن عون وآدابه.

وقال ابن معين: ولد ابن عون سنة أربعٍ أو ستٍّ وستين، وكان أكبر من أيوب

(١) انظر حلية الأولياء ٣/ ٣٧ ـ ٤٠.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٣١٠.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣٩.

بسنتين، وعاش ابن عون بعد أيوب عشر سنين[١].

قال: وقال ابن عون[٢]: كنت شمَّاساً في بيعة مَيْسان فوقعتُ في سهم عبد الله بن ذرَّة المُزَني.

ذكر وفاته

اتفقوا على أنه مات في هذه السنة.

أدرك ابنُ عون أنس بن مالك وصحبه[٣]، ويقال: إنَّه رَوى عنه، ورَوى عن الحسن وابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والقاسم بن محمد ومجاهد ونافع وغيرهم.

وقال بكَّار بن محمد: ما رأيتُ أصبرَ منه في مرضه؛ ما شكا علَّةً قطّ حتى مات.

وقال الحافظ ابن عساكر: قدم ابن عون الشام وشاهد غيلان القدري مصلوباً[٤].

(١) كذا في (خ). وفي تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٦ (طبعة مجمع اللغة): عشرين سنة.

(٢) القائل هو أرطبان جدُّ عبد الله. انظر تاريخ خليفة ١/ ١٢٨، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٢٣١.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ٤١، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٦٤: وما وجدت له سماعاً من أنس بن مالك ولا من صحابي، مع أنه ولد في حياة ابن عباس وطبقته، وكان مع أنس بالبصرة وقد ورد عنه أنه رأى أنساً وعليه عمامة خز. اهـ.

وهذا الأخير الذي رواه ابن عون عن أنس أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٤١ ـ ٤٢.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٢٥.